العدول عن مقتضى الظّاهر وتطبيقاته في القرآن الكريم

Ecart from the appearance requirement in the Holy Quran

أ/د: عبد القادر حمراني*

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)، a.hamrani@univ-chlef.dz

تاريخ الارسال2023/05/08 تاريخ القبول 2023/06/04 **تاريخ النشر**2023/06/10

ملخص:

يخضع نظم الكلام لجملة من الاعتبارات التي تعدل به عن الأصل المفترض تماشيا مع متطلبات السياق العامّ، وما يناط بالكلام من مقاصد وأحكام. وما ذاك إلاّ لأنّ معنى الكلام مرتبط بترتيب أجزائه وطبيعة أوضاعه. فلكلّ تعبير عبير، يحدّده نسق من النّظم والتّصوير. وفي القرآن الكريم من أساليب العدول عن مقتضى ظاهر الحال ما يملك على الباحث فكره، ويغري به لتتبّع مسالك هذه الظّاهرة الأسلوبية، والتنقيب في أعطافها، والاستمتاع بلطائفها التي تجلّ عن الحصر. فلا يكون عدول عن مقتضى الظّاهر إلاّ لنكت بلاغية ولطائف معنوية. وهو ما نسعى إلى الوقوف عليه من خلال إيراد عينات مختلفة من آي الذّكر الحكيم. وإن كنّا نقرّ سلفا أنّ بلاغة القرآن الكريم معين لا ينضب، وبلوغ شأو الكمال في إظهار محاسنه غاية لا تطلب.

الكلمات المفتاحية: العدول عن مقتضى ظاهر الحال، الظّاهرة الأسلوبية، نكت بلاغية، مقاصد الكلام.

Abstract : Speech systems are subject to a number of considerations modifying the Because the meaning of speech is .assumed asset in line with the context's requirements related to the order of its parts and the nature of its situations. In the Holy Quran 'an, one of the methods of refraining from the apparent requirement is what the researcher has on his mind and is tempted to follow. It is only rhetorical jokes and moral cults that do not appear. This is what we seek to identify by providing samples of the Holy Quran.

Keywords: Ecart from apparent requirement, phenomen stylistic, thoughts rhetorical, connotations expressions.

مقدّمة:

للكلام البليغ أساليب من جنسه، تختلف باختلاف مقتضيات الأحوال التي تحدّد مسالك النّظم، وطرق إخراجه. فقد يكون الكلام واردا على أصله وظاهر حاله. وقد يُعدل عن مقتضى ظاهر الحال حيث يكون لكلّ لون من ألوان المعنى وأطيافه نوع من الأسلوب، ونمط خاصّ من التعبير. وهنا تكمن عبقرية العربية التي تستجيب لكلّ حدث وتصوير. تصوير قوامه الألفاظ والعبارات، و ما يجمع بينها من رحم المعنى، ومتطلبات المبنى الذي تتنوّع أشكاله تبعا لمرامي الكلام ومقاصده. وهو أمر يعكس حيوية اللّغة بين أصولها وفروعها. ويزداد التعبير بلاغة

* المؤلف المرسل

عبر هذه الظّاهرة لحدّ الإعجاز لما يتعلّق الأمر بالقرآن الكريم، مثلما يتّضح ذلك من خلال عيّنات متنوّعة من أسلوبه نحاول الوقوف عندها، وتوضيح معالمها بما يسمح به جهد المقلّ. مسأنسين في ذلك بما نبّه إليه المفسّرون، وما وقفوا عليه من لطائف كانت جديرة بالذّكر.

من أساليب العدول عن مقتضى ظاهر الحال ما يعتري الأسلوب الخبري والإنشائي من عدول عن أصلهما في الاستعمال والدلالة لضرب من البلاغة التي يقتضيها السياق، فيردان على خلاف مقتضى الظاهر. وقد اهتمّ البلاغيون بهذه الظواهر الأسلوبية. ورصدوا دلالاتها المختلفة باختلاف الأحوال والمقامات. وفي هذا يقول السكاكي: « واعلم أن الطلب كثيراً ما يخرج لا على مقتضى الظاهر. وكذلك الخبر، فيذكر أحدهما في موضع الآخر. ولا يصار إلى ذلك إلا لتوخي نكت قلّما يتفطن لها من لا يرجع إلى دربة في نوعنا هذا. ولا يعض فيه بضرس قاطع. والكلام بذلك متى صادف متممات البلاغة افترّ لك عن السحر الحلال بما شئت.»[1]

إنّ العدول الدلالي الذي يلحق أدوات الاستفهام في هذا الباب فيخرجها عن معانيها الأصلية إلى معان مجازية اقتضاها السياق، وتطلبها المقام، من شأنه أن يثير انتباه المتلقي، ويدعوه إلى أن يكون شريكا في الحدث الكلامي، والتصوّر الفكري، وما ينجم عن ذلك من دلالات، يتوصّل إليها بالاستنباط والعدول عن ظاهر القول. مثال ذلك ما أورده ابن جنّي عن « قول الرجل لصاحبه الذي لا يشكّ في جهله: أجاهل أنت؟ توبيخا له، وتقبيحا عليه، ومعناه: إنّي قد نبّهتك على حالك فانتبه لها، واحتط لنفسك منها.»[2] إنّ الملحظ الشكلي لهذه الصيغة الاستفهامية لا يُهتدى إلى حقيقته، ويتوصّل إلى مغزاه ما لم يربط بالمقام الذي أنجز فيه، والظرف الذي حواه. وبهذا يكون المقام مولّدا لدلالة جديدة مفادها توبيخ المخاطب أو تنبيهه. يتجلّى هذا المعنى لدى المتلقي وينطبع في فكره بعد حدوث عمليتين ذهنيتين إحداهما مقصية لظاهر الأسلوب وأصله، وأخرى رابطة له بسياقه وفرعه. وما ذاك إلاّ لأنّ المقام يقوم « بتعطيل الدلالة المباشرة للملفوظ، ويتيح الفرصة لتوليد دلالة متضمّنة هي الدلالة المجازية التي تفهم بواسطة الاستدلال. وهنا يلتقي العدول الدلالي لهذا النوع من الأدوات أو الجمل بالعدول الدلالي للألفاظ في الاستعارة والكناية. وهذا ما دعا السكاكي إلى الجمع بينهما في باب البيان.»[3]

من ظواهر العدول عن الأصل في إلقاء الخبر إجراء الكلام على خلاف مقتضى الظّاهر بالنّظر إلى حال المخاطب مراعاة لأمور اعتبارية تنزيلية، تستدعي ذلك النسق من الأسلوب حيث « يجعل غير السائل كالسائل إذا قدّم إليه ما يلوّح إليه بالخبر فيشرف له استشراف المتردّد الطّالب.»[4] وهو ضرب من الأسلوب الذي لا يهتدي إلى سبيله إلاّ مرهف الحسّ، قويّ الحدس مثلما يفهم من قصّة أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر مع بشّار بن برد في بيته الشّهير:

بكّرا صاحبي قبل الهجير *** إنّ ذاك النّجاح في التبكير

حيث قال خلف الأحمر: « لو قلت – يا أبا معاذ- مكان إنّ ذاك النّجاح في التبكير، فالنّجاح في التبكير كان أحسن. فقال بشّار: إنّما بنيتها أعرابية وحشية، فقلت: إنّ ذاك النّجاح. ولو قلت: فالنّجاح كان هذا من كلام المولّدين. ولا يشبه ذلك الكلام. ولا يدخل في معنى القصيدة.»[5] لقد أدرك بشّار بذوقه البياني الرفيع، وفطرته اللّغوية الأصيلة، أنّ المتلقي لفكرة الأمر بالتبكير متردّد في قبولها، متطلّع إلى طلب العلّة، فألقى إليه الخبر في الشطر الثاني مؤكَّدا، سعيا منه إلى دفع كلّ شكّ عن جدوى الأمر. وذلك أدعى لقبوله والامتثال له. ويشيع هذا الضّرب من الأسلوب العدولي في الذّكر الحكيم نحو قوله تعالى: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ – سورة غافر:02- الظّاهر أنّ هذا الخبر عامّ يخصّ المؤمنين والكافرين إلاّ أنّه جاء خاليا من المؤكّدات إذ لا سبيل إلى إنكاره لوجود الدلائل البينات لكلّ واع متبصّر، كيف لا والواقع يشهد بصحّة ذلك. وعليه فتجريد الخبر عن المؤكد «إخراج له على خلاف مقتضى الظاهر بجعل المنكِر كغير المنكر لأنه يحفّ به من الأدلة ما إِنْ تَأَمَّلَه ارتدع عن إنكاره، فما كان من حقه أن ينكر ذلك.»[6] ويكون لهذا الضرب من الأسلوب « أثره الغالب في النفس حين تجد الكلام الذي يواجه الرفض والجحود خاليا من الاحتفال والتوكيد، خافت النبرة، هامسا بالحقيقة في غير جلجلة وضجيج، وتجد هذا في كتاب الله كثيرا جدّا.»[7] مثال ذلك قول الحق تبارك وتعالى مخبرا الناس كافة المؤمنين منهم والكافرين:﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ – سورة الجمعة:01.معلوم أنّ تسبيح جميع الكائنات السماوية والأرضية لله عزّ وجلّ أمر منكر عند الكفار ولكن رغم جحودهم وإنكارهم لما يتلى عليهم فإنّه لم يُقِم لهم وزنا. وساق الخبر خاليا من المؤكّدات للإشارة إلى أنّ ذلك التسبيح هو حقيقة مسلّم بها، فهي ليست بحاجة إلى توكيد. يضاف إلى هذا أنّه غير مكترث بحال الجاحدين. وهذا اللون من التعبير شائع في القرآن الكريم. وبخاصة ما يتعلق بالمغيّبات. ومنه خطاب الله عزّ وجلّ لعباده المؤمنين بقوله :﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ سورة الحج:07. قيام الساعة حقيقة مسلّم بها لدى المسلمين لكن لما كانت بعض الأعمال الصادرة منهم تعكس تصرّف من لا يؤمن بالساعة أنزلوا منزلته، فجاء الكلام على خلاف مقتضى الظّاهر. قال الخطيب القزويني : « وممّا يتفرّع على هذين الاعتبارين[8] قوله تعالى:﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ سورة المؤمنون:15-16. أكّد إثبات الموت تأكيدين، وإن كان ممّا لا ينكر لتنزيل المخاطبين منزلة من يبالغ في إنكار الموت لتماديهم في الغفلة والإعراض عن العمل لما بعده. ولهذا قيل ميتون، دون تموتون، ... وأكّد إثبات البعث تأكيدا واحدا، وإن كان ممّا ينكر، لأنّه لما كانت أدلّته ظاهرة كان جديرا بألاّ ينكر، بل إمّا أن يعترف به أو يتردّد فيه، فينزل المخاطبون منزلة المتردّدين تنبيها لهم على ظهور أدلّته، وحثّا على النظر فيها، ولهذا جاء تبعثون على الأصل. »[9]

وقد يكون الأمر بخلاف ذلك وعلى النقيض منه لما يكون الفعل حاصلا والإعراض عنه في أشدّه فيُنزَّل المبلَّغ إليهم منزلة من ينكر بلوغ الكتاب إليهم نحو قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَاب فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ –سورة الأعراف: (52) حيث جاء التأكيد خارجاً على خلاف مقتضى الظاهر ،«

بتنزيل المبلَّغ إليهم منزلة من ينكر بلوغ الكتاب إليهم ، لأنّهم في إعراضهم عن النّظر والتّدبر في شأنه بمنزلة من لم يبلغه الكتاب.»[10]

وقد ينزّل غير السائل المتردّد منزلة السائل فيؤكّد له الخبر، فيرد الكلام على خلاف مقتضى الظاهر. ومنه قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ سورة هود: (37) الخطاب لنوح عليه السلام نهيا له على طلب الشفاعة للذين ظلموا. وفي ذلك إشعار بأنّه قد حقّ عليهم العذاب. وصار حال المخاطب كمن تردّد في شأن إغراقهم فخوطب بقوله:﴿ إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ « وتأكيد الخبر بحرف التوكيد في هذه الآية مثال لتخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر بتنزيل غير السائل المتردد منزلة السائل إذا قدم إليه من الكلام ما يلوّح إلى جنس الخبر فيستشرفه لتعيينه استشرافاً يشبه استشراف السائل عن عين الخبر.»[11]

وقد يكون الفعل ثابتا ولكن لما ينتفي أثره المترتّب عليه يكون كالعدم في جدواه، فيُجرى الكلام على خلاف مقتضى الظّاهر نحو قوله تعالى:﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ سورة الحج: (46) « ولكن جعل الاستفهام داخلاً على نفي السير لأن سير السائرين منهم لما لم يفدهم عبرة وذكرى جُعل كالعدم فكانَ التعجيب من انتفائه ، فالكلام جارٍ على خلاف مقتضى الظاهر.»[12] والجدير بالذّكر أنّ العدول عن الأصل في هذا الجانب لا يقتصر على مراعاة حال المخاطب فقط، بل تراعى فيه حال المتكلّم أيضا، فيكون لإلقاء الخبر علاقة بنفسية المتكلّم وما يدور في خلده. وهذا ما نبّه إليه الزمخشري عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾سورة البقرة:14. لقد حقّقوا التوكيد في مخاطبتهم لقومهم بالجملة الاسمية مؤكدة بإنّ، بينما كانوا قد عدلوا عنه في إلقائهم الخطاب للمؤمنين مستعملين الجملة الفعلية من دون مؤكدات لأنّ قولهم هذا لم يكن صادرا عن رغبة واعتقاد. وأمّا ما أخبروا به شياطينهم فكان بالجملة الاسمية المؤكدة لثباتهم على اليهودية وفي ذلك انسجام مع حقيقة نفوسهم.[13] وعلى هذا التخريج فُسِّر قوله سبحانه وتعالى:﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ سورة آل عمران:36. إنّ مريم عليها السلام كانت تعلم علم اليقين بأنّ الله عزّ وجلّ كان على علم بما وضعت إلاّ أنّها أكّدت الخبر بالنظر إلى حالتها النفسية التي تلقت هذا الأمر بخلاف المترقب، و ما كانت تنتظره، وتتطلع إليه. وهو أن يولد لها ذكر، ففاجأها الأمر، فأرادت أن توطّن نفسها على ذلك، فأكّدت الخبر. كما أنّها « قالته تحسراً على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها . فتحزنت إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكراً. ولذلك نذرته محرّراً للسدانة. ولتكلمها بذلك على وجه التحسّر و التحزّن.»[14]

ومن عدول الخبر عن أصله في الدلالة إفادته الأمر كما هو الحال في قول الحق سبحانه وتعالى:﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ سورة البقرة من الآية:228. ظاهر الكلام في هذه الآية أنّه إخبار

عن حالة إلاّ أنّه لما كان يقتضي وجوب تربّص المطلّقة بنفسها، تضمّن هذا الخبر أمرا إلزاميا يشعر بوجوب تلقيه بالمسارعة والاستعجال في تنفيذه . وقد نتساءل عن علّة هذا العدول فيجيبنا الزمخشري بقوله: « فإن قلت : فما معنى الإخبار عنهن بالتربص؟ قلت : هو خبر في معنى الأمر . وأصل الكلام : وليتربص المطلقات. وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر. وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص. فهو يخبر عنه موجوداً... وبناؤه على المبتدإ مما زاده أيضا فضل تأكيد.»[15] ومن هذا النسق الأسلوبي قوله جلّ جلاله:﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾- سورة البقرة من الآية:233. فالخطاب هذا « أمر أخرج مخرج الخبر مبالغة في الحمل على تحقق مضمونه ومعناه الندب أو الوجوب إن خصّ بمادّة عدم قبول الصبي ثدي الغير أو فقدان الظئر أو عجز الوالد على الاستئجار.»[16]

ومن مجيء الأمر في صورة الخبر القائم على جملة فعلية قوله عزّ وجلّ :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾- سورة الصف:10-11. فجملتا تؤمنون وتجاهدون جملتان خبريتان في معنى الأمر. وقد دلّ على ذلك مجيء ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ مجزوما لكونه جواب الطلب. « فإن قلت: لمَ جيء به على لفظ الخبر؟ قلت: للإيذان بوجوب الامتثال، وكأنه امتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين. ونظيره قول الداعي : غفر الله لك ، ويغفر الله لك : جعلت المغفرة لقوّة الرجاء ، كأنها كانت ووجدت.»[17] يضاف إلى هذا أنّ التعبير بالمضارع فيه دلالة على وجوب الاستمرار على تلك الحالة وملازمتها من غير فتور عن الإيمان بالله ورسوله، أو التخلي عن الجهاد إذا ما استنفر إليه المؤمنون. و علل الطاهر بن عاشور مجيء « الفعلين الأولين على لفظ الخبر للإيذان بوجوب الامتثال حتى يفرض المأمور كأنه سمع الأمر وامتثله.»[18] وصار أمره خبرا مرويا لا سبيل إلى الشكّ فيه أو الجدال حوله. ومن هذا النسق قوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾- سورة البقرة من الآية:83. أصل الكلام هو أن لا تعبدوا إلاّ الله، لكنه عُدِل عن هذا إلى المضارع " لا تعبدون " وهو « إخبار في معنى النهي، كما تقول: تذهب إلى فلان تقول له كذا، تريد الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي ، لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء ، فهو يخبر عنه.»[19]

وقد يكون الخبر مركبا من جملة اسمية تفيد الامتثال للأمر على سبيل الوجوب نحو قوله سبحانه وتعالى:﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾- سورة المائدة:89. قوله تعالى:﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ ﴾.خبر يقتضي وجوب القيام به والامتثال له. وكذا الأمر بالنسبة إلى قوله تعالى:﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴾ وكان مقتضى الظاهر القول: فكفّروا عن أيمانكم....وصوموا ثلاثة أيام.

ومن وضع الخبر موضع الطلب المفيد للدعاء قوله عزّ وجلّ على لسان يوسف عليه السلام:﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾- سورة يوسف:92. جملة ﴿ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ خبرية في مبناها طلبية في معناها. « ولعله عبر في هذا الدعاء بالمضارع إرشاداً لهم إلى إخلاص التوبة، ورغبهم في ذلك ورجاهم بالصفة التي هي سبب الغفران ، فقال : " وهو " أي وحده " أرحم الراحمين " »[20]

وممّا ورد فيه العدول عن الأسلوب الإنشائي إلى الأسلوب الخبري لضرب من البلاغة قوله سبحانه وتعالى:﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آَسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾- سورة محمد:15. فحْوى الكلام عبارة عن استفهام إنكاري عدل به إلى صورة الخبر قصد التوكيد والمبالغة في الإنكار على من يسوّي بين جزاء من هو خالد في الجنّة وبين من هو خالد في النّار.« فعرّى عن حرف الإنكار وحذف ما حذف تصويرا لمكابرة من يسوّي بين المتمسّك بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من سوّى بين الجنّة الموصوفة بما فصّل من الصّفات الجليلة وبين النار.»[21]

هذه عيّنة من النماذج التي يتجلّى فيها عدول الأسلوب الخبري عن أصله. وقد يكون الأمر بخلاف هذا وعلى النقيض منه، فيقع الإنشاء موقع الخبر لأغراض بلاغية. فيعبّر عن الخبر بصيغة الأمر على نحو ما نجده في قوله عزّ وجلّ :﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾- سورة مريم من الآية:75. الآية تخبر عن حال أهل الضلالة الذين يمهلهم الله عزّ وجلّ ويذرهم في طغيانهم يعمهون. لذلك فإنّ أصل الكلام: من كان في الضلالة سيمدد له الرحمن مدّا. و قد ورد الفعل في صيغة الأمر توكيدا للخبر، وإيذانا بوجوب ما أمر به، وأنّه مفعول لا محالة. وقد اقتضى السياق أن يرد الكلام بهذا الأسلوب ويرشح من « الأمر معنى الخبر، لتضمنه اللزوم، نحو: إن زرتنا فلنكرمك، يريدون تأكيد إيجاب الإكرام عليهم.»[22]

من الأساليب الشّائعة في لسان العرب التي يقع فيها العدول عن مقتضى الظّاهر أسلوب الالتفات الذي احتفى به البلاغيون مبرزين أنواعه وبلاغته نظرا لخاصيته الأسلوبية المتميّزة بطاقتها الإيحائية القائمة على صيغ التنويع في الإحالات. وهو أحد أشكال العدول في مسار التعبير، وتلوين الخطاب تبعا لخصوصية المعنى، ومتطلبات المقام. فهو لا يجري على وتيرة واحدة لأنّه « مقصور على العناية بالمقصود، وذلك المعنى يتشعّب شعبا كثيرة لا تنحصر، وإنّما يؤتى بها على حسب الموضع الذي ترد فيه.»[23] وهو في الاصطلاح « العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأوّل.»[24] وتكمن قيمته البلاغية فيما يحدثه من انكسار في السياق اللغوي، فيكون بمثابة المنبّه الذي يشغل بال القارئ، ويشدّ انتباهه، فضلا عن شحن الكلام بطاقات دلالية خاصّة، تنتج عن ذلك العدول. وهو مستفحل في كلام البلغاء الذين كانوا يستحسنونه لما يجدون فيه من لذّة فكريّة، وراحة نفسية تدفع عنهم السآمة. وتجلب الاهتمام.« وكلام العرب كثير الانحرافات، ولطيف المقاصد والجهات. وأعذب

ما فيه تلفّته وتثنيه.»[25] وقد كانت عناية العرب به كبيرة فكانوا يراوحون بين أسلوب وآخر دفعا للرتابة في الكلام. وتفننا في طرق إخراجه وهم أحرياء بذلك. « ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب كان أدخل في القبول عند السامع، وأحسن تطرية لنشاطه، وأملأ باستدرار إصغائه ...أفتراهم يحسنون قرى الأشباح فيخالفون بين لون ولون، وطعم طعم، ولا يحسنون قرى الأرواح فيخالفون بين أسلوب وأسلوب. و إيراد و إيراد فإن الكلام المفيد عند الإنسان لكن بالمعنى لا بالصورة أشهى غذاء لروحه وأطيب قرى لها.»[26] وإذا كان الالتفات لا يُلجأ إليه إلاّ لغرض من القول فإنّه لا« ينبغي أن يقتصر في ذكر علّة الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب بما عادة توسّط أهل النظر أن يفعلوه، وهو قولهم: إنّ فيه ضربا من الاتساع في اللغة لانتقاله من لفظ إلى لفظ، هذا ينبغي أن يقال إذا عري الموضع من غرض معتمد، وسرّ على مثله تنعقد اليد.»[27]

يرى الزمخشري أنّ بلاغة الالتفات كامنة في مبالغته وتنشيطه ذهن المتلقي. وجعله ينصرف إلى ما يلقى عليه بشغف و اهتمام. وقد شرح هذا المقصد بقوله: « وهو فنّ من الكلام جزل، فيه هزّ وتحريك من السامع، كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكياً عن ثالث لكما: إنّ فلاناً من قصته كيت و كيت، فقصصت عليه ما فرط منه ، ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت: يا فلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة في مجاري أمورك ، وتستوي على جادّة السداد في مصادرك ومواردك . نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه ، واستدعيت إصغاءه إلى إرشادك زيادة استدعاء، وأوجدته بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة هازاً من طبعه ما لا يجده إذا استمررت على لفظ الغيبة، وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف، يستفتح الآذان للاستماع، و يستهش الأنفس للقبول.»[28] هذا مع إمكانية تحقيق مقاصد بلاغية أخرى تستفاد من سياق الكلام. وكان الزمخشري حريصا أشدّ الحرص على إبراز بلاغة الالتفات في القرآن الكريم لأنّ العدول في الذكر الحكيم لا يخلو من لطيفة بلاغية أو درّة بيانية.

تجمع كتب البلاغة على أن الغرض العام من الالتفات كامن في تنشيط السامع وشدّ انتباهه إلى ما يلقى عليه. لأنّ الكلام إذا حدث فيه التفات وتنوّع حرّك الخواطر وحثّ الأفهام على تدبّره، غير أنه لا ينبغي أن يحصر الغرض من الالتفات في تطرية نشاط المتلقي، وشدّ انتباهه لأنّ ذلك من شأنه أن يلقي الستار على كثير من المقاصد البلاغية، وتمثّل الأحوال النفسية التي تعتري منشئ الخطاب. وقد تنبّه السكاكي إلى هذه النكتة وهو يكشف عن سرّ العدول في قول امرئ القيس: تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالإِثْمِدِ *** وَنَامَ الخَلِيُّ وَلَمْ تَرْقُدِ

وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ *** كَلَيْلَةِ ذِي العَائِرِ الأَرْمَدِ

وَذَلِكَ مِنْ نَبَإٍ جَاءَنِي *** وَخَبَّرْتُهُ عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ[29]

والجدير بالذّكر أنّه لا يخلو موضع من مواضع الالتفات في القرآن الكريم من غرض خاص كما قرر ذلك الزمخشري بقوله: « وقد تختص مواقعه بفوائد.»[30] وقد حوى تفسيره إشارات لطيفة في هذا المجال وتخريجات ذكية تنبئ عن ذوق سليم، وإدراك عميق لمقاصد الالتفات. كما هو الحال في قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾سورة الفاتحة:05. حيث قال:« وممّا اختصّ به هذا الموضع: أنّه لما ذكر الحقيق بالحمد، وأجرى عليه تلك الصفات العظام، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات. قيل: إياك يا من هذه الصفات صفاته نخصّك بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه، ليكون الخطاب أدلّ على أنّ العبادة له. لذلك التميّز الذي لا تحق العبادة إلا به.»[31]

إنّ المعاني الناجمة عن هذه المنبّهات الأسلوبية قد يدقّ مرماها. ويغمض عن غير ذوي الألباب مغزاها نظرا لما تمتاز به من اللطائف التي « قلما تتّضح إلا لأفراد بلغائهم. أو للحذاق المهرة في هذا الفن والعلماء النحارير. ومتى اختص موقعه بشيء من ذلك كساه فضل بهاء ورونق، وأورث السامع زيادة هزة ونشاط، ووجد عنده من القبول أرفع منزلة ومحل، إن كان ممن يسمع ويعقل.»[32] والذي يجب التنبيه إليه هو أنّ توظيف هذا الأسلوب العدولي يتطلّب مهارة في التعبير، ودراية بأحوال النفس وخصائص اللغة . فهو يجود في موضعه المستحقّ له. وينبو في غيره. وكان ابن الأثير قد نبّه إلى هذه الفكرة بالقول « واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أنّ العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك. وهو لا يتوخاه في كلامه إلاّ العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسرارها وفتّش عن دفائنها. ولا تجد ذلك في كلّ كلام فإنه من أشكل ضروب علم البيان وأدقّها فهما وأغمضها طريقا.»[33]

من مواطن العدول عن مقتضى الظّاهر في أسلوب الالتفات الإخبار عن المفرد بالجمع نحو قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾سورة البقرة:(17) ظاهر الحال يقتضي أن يقال: ذهب الله بنوره وتركه في ظلمات لا يبصر مجاراة للمفرد الغائب الذي سبق الحديث عنه. لكنّه عدل عن مقتضى الظاهر « للتنبيه على الانتقال من التمثيل إلى الحقيقة ليدل على أن الله أذهب نور الإيمان من قلوب المنافقين ، فهذا إيجاز بديع كأنه قيل فلما أضاءت ذهب الله بناره فكذلك ذهب الله بنورهم وهو أسلوب لا عهد للعرب بمثله فهو من أساليب الإعجاز.»[34]

وممّا هو وارد بخلاف ذلك وهو العدول عن الجمع إلى الإفراد قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ سورة الأعراف:11-12. « وكان مقتضى الظاهر أن يقال : قُلنا ، فكان العدول إلى ضمير الغائب التفاتاً ، نكتته تحويل مقام الكلام ، إذ كان المقامُ مقام أمرٍ للملائكة ومن في زمرتهم فصار مقام توبيخ لإبليس خاصة.»[35] ومن صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة بغية التوبيخ بالإعراض قوله تعالى:﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمْ

اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ سورة الجاثية:34-35. ومقتضى الظاهر في هذا أن يقال: لا تُخرجون ، بأسلوب الخطاب جريا على نفس النسق التعبيري « ولكن عدل عن طريقة الخطاب إلى الغيبة على وجه الالتفات . ويحسّنه هنا أنه تخييل للإعراض عنهم بعد توبيخهم وتأييسهم وصرف بقية الإخبار عنهم إلى مخاطب آخر ينبّأ ببقية أمرهم تحقيراً لهم.»[36]

ألحق جماعة من البلاغيين مخالفة مقتضى الظاهر في صيغ الأفعال بباب الالتفات كونه يمثّل عدولا عن أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأوّل. حيث تحدث المغايرة في التعبير بين صيّغ الأفعال في الأزمنة الثلاثة، فيعبّر بالماضي عن الحاضر أو المستقبل، أو العكس. ومن شأن ذلك العدول أن يجلب دلالات إضافية. ويحقّق مقاصد بلاغية. تكاد تشترك دلالة العدول من الماضي إلى المضارع في استحضار الصورة المعبّر عنها، وتجدّد الحدث الذي يدلّ عليه الفعل، والاستمرار فيه. مثال ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ – سورة الحج من الآية:25.الأصل الافتراضي في هذا أن يقال: إنّ الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله إلاّ أنّه عدل عن التعبير بالماضي إلى المضارع للدلالة على تكرارهم لذلك الفعل واستمرارهم فيه حتى صار ذلك دأبهم. ولما كان الصدّ منهم كالدّائم « اختير لهم يفعلون، كأنّك قلت: إنّ الذين كفروا ومن شأنهم الصّدّ.»[37] ومن هذا الصنف توبيخ الحقّ تبارك وتعالى لليهود بقوله : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾– سورة البقرة :87. قال الزمخشري: « فإن قلت: هلا قيل وفريقا قتلتم، قلت: هو على وجهين، أن تراد الحال الماضية لأنّ الأمر فظيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب، وأن يراد وفريقا تقتلونهم بعد لأنّكم تحومون حول محمد صلى الله عليه وسلّم لولا أنّي أعصمه منكم لذلك سحرتموه وسممتم له الشاة.»[38] ويمكن الجمع بين استحضار تلك الصورة الفظيعة، وبين تطلّعهم إلى قتل الرسول عليه الصلاة والسلام إلى جانب رعاية الفاصلة لتتحقق بلاغة المعنى وحسن المبنى. ومن هذا الضرب قول الله سبحانه و تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾– سورة الحج:63.صُدِّرت الآية باستفهام تقريري داع إلى التأمّل في عجيب صنع الله الذي أتقن كلّ شيء. وإيثار صيغة المضارع للتعبير عن اخضرار الأرض لأنّها أقدر الصيغ على استحضار المشاهد وتصويرها. يضاف إلى هذا ما في هذه الصيغة من دلالة على تجدّد فعل الإنزال الذي به قوام حياة الإنسان لطفا من الله عزّ وجلّ بعباده. وعلّل الزمخشري هذا العدول بقوله: « فإن قلت : هلا قيل : فأصبحت؟ ولِمَ صرف إلى لفظ المضارع؟ قلت: لنكتة فيه، وهي إفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان، كما تقول: أنعم عليَّ فلان عام كذا، فأروح وأغدوا شاكراً له. ولو قلت : فرحت وغدوت؛ ولم يقع ذلك الموقع.»[39] ومن هذا النسق في العدول عن مقتضى الظاهر قوله تعالى:﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ سورة المائدة:(03) وكان مقتضى الظاهر أن يقال : وما استقسمتم عليه

بالأزلام ، إلاّ أنّه عدل عن ذلك إلى القول وتستقسموا بالأزلام «ليكون أشمل للنهي عن طريقتي الاستقسام كلتيهما ، وذلك إدماج بديع.»[40] وقد يقع العدول عن المضارع إلى الماضي للتأكيد على حتمية وقوع الفعل. ومنه قوله تعالى:﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴾ سورة إبراهيم:21.كان مقتضى الظاهر أن يقول : ويبرزون لله ، فعدل عن المضارع إلى الماضي للتنبيه على تحقيق وقوعه حتى كأنه قد وقع لدفع كلّ شك في ذلك. والقرآن الكريم يقصّ علينا كثيرا من مشاهد القيامة ويعرضها بصيغة الماضي ليؤكّد حتمية وقوعها حتّى لكأنّنا نراها رأي العين. ومن هذا اللون التعبيري قول الله عزّ وجلّ:﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾– سورة الكهف:47. حدث الالتفات من المضارع " نسيّر " إلى الماضي " حشرنا " وهو عدول يفسّره ما بين هاتين الصيغتين من فارق معنوي، يتمثّل في الدلالة على تحقّق وقوع فعل الحشر الذي ينكره الكافرون. وبرّر الزمخشري هذا الالتفات بقوله: « فإن قلت: لم جيء بحشرناهم ماضياً بعد نسير وترى؟ قلت: للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز، ليعاينوا تلك الأهوال العظائم، كأنه قيل : وحشرناهم قبل ذلك.»[41] على هذا النسق من العدول يجري الأسلوب القرآني في تصوير مشاهد الآخرة والإخبار عن أحوال يوم القيامة عامّة، وما يتعلّق بها من بعث وحشر ونشر يُخبر عنه بصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوع ما يخبر به.

يمثّل العدول عن الإظهار إلى الإضمار أوالعكس معطى أسلوبيا ذا قيمة فنية وبلاغية بفعل ما ينطوي عليه من لطائف معنوية ونكت بلاغية تسهم بحظّ وافر في خدمة الغرض وتحقيق المراد كونه نوعا من أنواع الإحالة الداخلية في النّصّ التي يجلّيها السياق. وقد تجسّدت هذه الآلية النظمية بشكل واسع في الأسلوب القرآني، وفي العالي الطبقة من بليغ كلام العرب.فقد يقع الإظهار مكان الإضمار أو العكس فيخرج الكلام على خلاف مقتضى الظّاهر لدواع بلاغية، نحو قوله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ سورة البقرة:211. « الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة، وأصل المحدث عنه كذلك. والأصل أنّه إذا ذكر ثانيا أن يذكر مضمرا للاستغناء عنه بالظاهر السابق.»[42] الظّاهر أن يقال: فإنّه شديد العقاب، إلاّ أنّه أظهر اسم الجلالة «لإدخال الرَّوْع في ضمير السامع وتربية المهابة ، ولتكون هذه الجملة كالكلام الجامع مستقلاً بنفسه ، لأنها بمنزلة المثل أمر قد علمه الناس من قبل ، والعقاب هو الجزاء المؤلم عن جناية وجرم ، سمي عقاباً لأنه يعقب الجناية.»[43] للإشارة فإنّ النحويين قد اختلفوا في العدول عن الربط بالمضمر إلى الظّاهر فمنهم من أجاز ذلك مطلقا.[44] ومنهم من قيّد الجواز بغرض التفخيم، وأن يكون الرّابط بلفظ الأوّل. وإذا لم يكن للتفخيم فلا يجوز عند سيبويه إلاّ في الشّعر.[45] وكان قد تعرّض إلى هذه الظاهرة بقوله: « ألا ترى أنك لو قلت ما زيد منطلقاً أبو زيد لم يكن كقولك ما زيد منطلقاً أبوه، لأنك قد استغنيت عن

الإظهار، فلما كان هذا كذلك أجري مجرى الأجنبي واستؤنف على حاله حيث كان هذا ضعيفاً فيه. وقد يجوز أن تنصب. قال الشاعر، وهو سواد بن عدي:

لا أَرَى المَوْتَ يَسْبِقُ المَوْتَ شَيْءٌ ... نَغَّصَ المَوْتُ ذَا الغِنَى وَالفَقِيرَا

فأعاد الإظهار. »[46] المتمثّل في وضع كلمة " الموت" الثانية موضع المضمر في الجملة الواحدة، علما بأنّ جملة " يسبق الموت شيء" مفعول به ثان للفعل "أرى" وأصله خبر.[47]والربط بالاسم الظّاهر لا يرد إلاّ لغرض في مساق الكلام. وما ذاك إلاّ لأنّ الاسم الظّاهر له خصوصية في الدلالة على المعنى والتجاوب مع الحدث الذي يمثّل شيئا متميّزا وحدثا مفزعا. « وقد أدرك البلاغيون وحي الكلمة وعملها بما يثيره لفظها من شؤون في النفس لا يستطيعها الضمير العائد عليها... فإذا كان الضمير يعطي إشارة ذهنية إلى العائد عليه هذه الإشارة تحضره في النفس إلاّ أنّ قدرا كبيرا من التأثير يظلّ الاسم الظّاهر محتفظا بها، ولا يستطيع الضمير حملها نيابة عنه، لأنّها تتولّد حين يقرع اللفظ السمع بجرسه وارتباطاته المختلفة جدّ الاختلاف.»[48] ومن مقتضيات الإظهار تربية المهابة وإرادة التعظيم للمعلّم لعباده والمنعم عليهم، وذلك بتسجيل نسبة الفعل إلى صاحب الاسم المكرر المظهر كما هو الحال في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾- سورة البقرة من الآية: 282. « وإظهار اسم الجلالة في الجمل الثلاث : لقصد التنويه بكلّ جملة منها حتى تكون مستقلّة الدلالة ، غيرَ محتاجة إلى غيرها المشتمل على معاد ضميرها ، حتى إذا سمع السامع كلّ واحدة منها حصل له علم مستقلّ، وقد لا يسمع إحداها فلا يضرّه ذلك في فهم أخراها.»[49]

قد يكون الباعث على الإظهار تقرير المظهر وتمكينه في القلوب للتعلّق به دون سواه كما هو ظاهر في قوله جلّ جلاله:﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ - سورة الإخلاص: 01-02. ولعلّ إظهار الاسم الأعظم الذي ترتبط به أسماء الصفات له أكثر من دلالة في هذا المقام فضلا عن وقعه العظيم في الأسماع والقلوب.وقد تكون إعادة الظاهر بغير لفظه لتحقيق دلالة خاصّة على نحو ما نجده في قوله تعالى: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾- سورة البقرة:105. لقد آثر الأسلوب القرآني مغايرة اللفظ عند إعادته ولو جرى على الأصل لقيل: " وربكم يختصّ برحمته من يشاء" « وفي إقامة لفظ الله مقام ضمير " ربّكم " تنبيه على أن تخصيص بعض الناس بالخير دون بعض يلائم الألوهية كما أن إنزال الخير على العموم يناسب الربوبية.»[50]

وقد يراد من الإظهار التهويل والتفخيم وهو عادة ما يرد في مقام الترهيب مثلما يتجلّى ذلك في قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ ﴾- سورة القارعة: 01-02. الأصل في مثل هذا التعبير أن يُقال : " القارعة ما هي" لكنه أعيد ذكر الاسم على الرغم من تقدّمه لما في ذلك من جرس خاص لذلك الاسم الذي يقرع الأسماع ويدخل المهابة في النفوس. وإعادة الاسم ظاهرا لا يقتصر على التهويل والتخويف فقد يكون الداعي التعظيم

والتشريف على غرار ما هو حاصل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾- سورة القدر: 01-02-03. مقتضى الظاهر الإضمار، لكنّه عُدل عنه لما كان القصد بتعيينها الاهتمام والتعظيم ترغيبا في فضلها وتحرّيها بغية التعرض لنفحاتها. ومن دواعي الإظهار تعليل الحكم كما هو الحال في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾- سورة الملك: 20. مقتضى الظاهر أن يقال: " إن أنتم " لاستمرار السياق على أسلوب الخطاب الذي باشرهم به لكنه عدل عن الإضمار إلى الإظهار تعريضا بهم . ولتبيين علّة غرورهم التي هي الكفر.

وممّا وقع فيه العدول عن الإضمار لهذه العلّة قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾- سورة البقرة: 59. لم يكتف بالقول: " فأنزلنا عليهم" بل أظهرهم بصريح اللفظ لما في ذلك من ذكر للظلم الذي استحقوا به العذاب. ومن هذا النسق المبيّن لسبب إصدار الحكم، واستحقاق الفعل قوله تعالى:﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾- سورة الحجّ من الآية: 72. حيث وقع إظهار الاسم الموصول في مقام الإضمار، وكان مقتضى الظاهر إعادة الضمير على ما تقدّم ذكره. لكنّه عدل إلى الإظهار لتخصيص العلّة وتوضيح سبب الحكم.[51] ومن الإظهار في مقام الإضمار قوله تعالى:﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾ سورة الأنعام:133. ومقتضى الظاهر أن يقال : وهو الغنيّ ذو الرّحمة ، «فخولف مقتضى الظاهر لما في اسم الربّ من دلالة على العناية بصلاح المربوب ، ولتكون الجملة مستقلّة بنفسها فتسير مسرى الأمثال والحِكَم ، وللتنويه بشأن النبي صلى الله عليه وسلم.»[52] الملاحظ على الأسلوب القرآني أنّ فيه سعيا متكرّرا إلى العدول عن الإضمار إلى الإظهار في مواطن التذييل الذي يشبه أن يكون مثلا قائما بذاته. والجدير بالذّكر أنّ « التّذييلات يقصد فيها أن تكون مستقلّة الدّلالة بنفسها لأنّها تشبه الأمثال في كونها كلاماً جامعاً لمعان كثيرة.»[53]

للعدول عن مقتضى الظّاهر عبر آلية التقديم والتأخير في الذّكر مقاصد بلاغية ترشح من تلك المنبّهات الأسلوبية ذات الدّفق الدلالي، والثراء المعنوي الواجب الوقوف عليه في الكلام البليغ. من ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ.﴾ سورة البقرة:235. الأصل أن يكون الإكنان في النّفس سابقا على التعريض بالقول إلاّ أنّ تأخير الإكنان في الذكر فيه دلالة على أنه أفضل وأبقى على ما للعدة من حرمة ، مع التنبيه على أنه نادر وقوعه « لأنه لو قدمه لكان الانتقال من ذكر الإكنان إلى ذكر التعريض جارياً على مقتضى ظاهر نظم الكلام في أن يكون اللاّحق زائد المعنى على ما يشمله الكلام السابق ، فلم يتفطن السامع لهذه النكتة ، فلما خولف مقتضى الظاهر علم السامع أن هذه المخالفة ترمي إلى غرض ، كما هو شأن البليغ في مخالفة مقتضى الظاهر ، وقد زاد ذلك إيضاحاً بقوله عقبه : { عَلِمَ الله أنكم ستذكرونهن } أي علم أنكم لا تستطيعون كتمان ما في أنفسكم ، فأباح لكم التعريض تيسيراً عليكم ، فحصل بتأخير ذكر

{ أو أكنَنْتُم } فائدة أخرى وهي التمهيد لقوله : { عَلِمَ الله أنكم ستذكرونهن } وجاء النظم بديعاً معجزاً .»[54]
ومن أمثلة العناية بذكر المقدّم بالتنصيص عليه لأخذه في الحسبان، ودفع أيّ توهّم عن قلّة العناية به، قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ﴾سورة البقرة:282. مقتضى الظّاهر أن يقدّم الكبير على الصّغير، لكن الاهتمام بالصّغير حتى لا يهمل أوجب تقديمه في الذّكر احتياطا عن الغفلة عنه أو تهوين شأنه. وممّا تستوجبه العناية بالمتقدّم في الذّكر ولو أنّ رتبته في الصناعة النحوية أن يكون تابعا لا متبوعا قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّن بَعْدِ الغم أَمَنَةً نُّعَاساً يغشى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ﴾ سورة آل عمران:154. مقتضى الظاهر أن يقدّم النعاس ويؤخّر أمنة : « لأنّ أمَنَةٌ بمنزلة الصفة أو المفعول لأجله فحقّه التقديم على المفعول كما جاء في آية [الأنفال : 11] : { إِذْ يُغشِيكُم النُّعاس أمَنَةٌ مِنه } ولكنّه قدّم الأمنة هنا تشريفاً لشأنها لأنّها جعلت كالمنزل من الله لنصرهم ، فهو كالسكينة ، فناسب أن يجعل هو مفعول أنزل ، ويجعل النعاس بدلاً منه.»[55] وممّا جاء مخالفا لما تقتضيه أصول الصناعة النّحوية لضرب من الدّلالة المعنوية قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ سورة فاطر:32.الفعل أورثنا من أفعال المنح التي تنصب مفعولين أوّلهما الآخذ في المعنى وثانيهما الشيء المأخوذ. هذا ما يقتضيه أصل التركيب إلاّ أنّ نظم الآية جاء مخالفا لمقتضى الظّاهر حيث قُدِّم المفعول الثّاني (الكتاب) لإظهار العناية والاهتمام به. أمّا التنويه بآخذي الكتاب فقد حصل من صلة الموصول. ومن تقديم متعلّقات الفعل على المفعول للطيفة بيانية، واعتبارات معنوية قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ سورة غافر:13 حيث تقدّم الجار والمجرور (لكم) على المفعول (رزقا) « لكمال الامتنان بأن جُعل تنزيل الرزق لأجل الناس ولو أخر المجرور لصار صفة ل { رِزْقاً } فلا يفيد أن التنزيل لأجل المخاطَبين بل يفيد أن الرزق صالح للمخاطبين وبين المعنيين بون بعيد ، فكان تقديم المجرور في الترتيب على مفعول الفعل على خلاف مقتضى الظاهر لأن حق المفعول أن يتقدم على غيره من متعلّقات الفعل وإنما خولف الظاهر لهذه النكتة.»[56]

لما كانت حقيقة النّظم مقرونة بتوخّي معاني النّحو، فإنّ كلّ ضرب من التّعبير له مقاصده البلاغية التي تستوجب نمطا معيّنا من التركيب . ويزداد النّظم دقّة في الدّلالة بفعل أنواع العدول عن الأصل التي تلحق التركيب، مثال ذلك قوله تعالى:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ سورة البقرة:217. مقتضى ظاهر الحال أن يقال : يسألونك عن القتال في الشهر الحرام ما حكمه إلاّ أنّه أبهم المراد من السؤال ليكون للنّفس إليه التفات، ثمّ بيّنه ببدل الاشتمال من بعده « لأجل الاهتمام بالشهر الحرام تنبيهاً على أن السؤال لأجل الشهر أيقع فيه قتال؟ لا لأجل القتال هل يقع في الشهر وهما متآيلان ، لكن التقديم لقضاء حق الاهتمام ، وهذه نكتة

لإبدال عطفِ البيان تنفع في مواقع كثيرة، على أن في طريق بدل الاشتمال تشويقاً بارتكاب الإجمال ثم التفصيل.»[57]

وممّا وقع فيه التصرّف في ترتيب دلالة الألوان فجاء مخالفا لما تقتضيه ظاهر الدّلالة اللّغوية التي يكون الانتقال فيها من اللّون الأسود إلى ما هو أشدّ منه سوادا قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ سورة فاطر27. فكان مقتضى الظاهر أن يكون (غرابيب) متأخراً عن (سُود) لأن الغالب أنهم يقولون : أسود غربيب، ومن حقّ التأكيد أن يتبع المؤكّد كقولهم أصفر فاقع، وأحمر قان. وقد جاء التعبير في الآية الكريمة مخالفا لهذا الأصل. وقد علّل الزّمخشري ذلك بقوله: « وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيراً لما أضمر ، كقول النابغة : وَالْمُؤْمِنُ العَائِذَاتِ الطَّيْرِ . . . ... وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد، حيث يدلّ على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار جميعاً.»[58] وفي ذلك تفسير بعد الإبهام ومزيد العناية بوصف السواد حيث « قدم التأكيد لدلالة السياق على أن أصل العبارة (وسُود غرابيب سُود) فأضمر الأول ليتقدم على المؤكد لأنه تابع ، ودل عليه بالثاني ليكون مبالغاً في تأكيده غاية المبالغة بالإظهار بعد الإضمار. »[59]

ومن إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظّاهر ما يعرف بأسلوب الحكيم في البلاغة العربية ومنه قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة البقرة:189.الظّاهر أنّهم سألوا عن أحوال الأهلة في ظهورها صغيرة ثمّ تكبر إلى أن تصير بدرا مكتملا ثمّ تتناقص حتى تختفي إلاّ أنّ الجواب كان خارجا على خلاف مقتضى الظّاهر حين قال: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ وفي ذلك صرف للسائل إلى غير ما طلبه « تنبيهاً على أن ما صرف إليه هو المهم له ، لأنهم في مبدأ تشريع جديد والمسؤول هو الرسول عليه الصلاة والسلام. وكان المهم لهم أن يسألوه عما ينفعهم في صلاح دنياهم وأخراهم ، وهو معرفة كون الأهلة ترتبت عليها آجال المعاملات والعبادات كالحج والصيام والعدة ، ولذلك صرفهم عن بيان مسؤولهم إلى بيان فائدة أخرى.»[60]

نتائج البحث:

تأسيسا على ما سبق ذكره يمكن القول إنّ ظاهرة العدول عن مقتضى الظّاهر في الأسلوب القرآني قد أخذت أشكالا متعدّدة، وبرزت في قوالب متميّزة طافحة بقوّة الدلالة، ووفرة الإيحاء. وقد استقطبت عوارض الملفوظ في هيئاته التركيبية المختلفة أنظار العلماء الذين راحوا يجيلون النظر في أوضاعها، ويشيرون إلى لطائفها بعد أن أدركوا متصرّفات الخطاب وترتيب وجوهه و الكشف عن ثمراته.وقد مثّل هذا النوع من الأسلوب أحد أبرز معالم وجوه الإعجاز في النّظم القرآني.

إنّ العدول عن مقتضى الظّاهر في الذّكر الحكيم يمثّل ملمحا أسلوبيا في غاية البلاغة والبيان، والبراعة في التّعبير بفعل ما يتضمّنه من منبّهات أسلوبية، ونكت بلاغية، ولطائف بيانية لا سبيل إلى تحقيقها من دونه.

لقد حوى الأسلوب القرآني كمّا هائلا من ظواهر العدول عن مقتضى الظّاهر، وكانت له فيها مبتكرات لا قبل للعرب بها. فقد جاء بأبلغ التراكيب وأسمى درجات البيان التي تمّ لها الحسن من كلّ جانب. وتجمّعت فيها مطالب البلاغة. وسيظلّ لهذا الأسلوب القرآني المعجز سلطان التأثير في النفوس، وبعث الحيوية والثراء في أوصال اللّغة العربية، وتفجير الطاقات التعبيرية الكامنة فيها، خاصّة وأنّها تتمتّع بمرونة كبيرة في إخراج أساليبها، ورسم معالم البيان فيها.[61]

الهوامش:

[1] – مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ت)،ص:138. [1]

[2] – المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات : ابن جني، تح: محمد عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط:01، 1998م.ج: 341/02-342.

[3] – البلاغة والأصول، محمد مشبال، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،المغرب،2007م،ص: 161.

[4] – التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:02، 1932م،ص:29.

[5] – دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تصحيح وتعليق: محمود رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1402هـ -1981م، ص:211.

[6] – التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس1984 م،ج:79/24.

[7] – خصائص التراكيب ، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط:07، 1427هـ -2006م. ص:87.

[8] – المقصود بالاعتبارين تنزيل غير المنكر منزلة المنكر، وتنزيل المنكر منزلة غير المنكر.

[9] – الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط:01، 1424هـ- 2003م.ص:31.

[10] – التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،ج:152/08.

[11] – المصدر نفسه،ج:67/12.

[12] – المصدر نفسه،ج:287/17.

[13] – ينظر الكشاف، جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.(د ت)،ج:34/01.

[14] – المصدر نفسه،ج:186/01.

[15] – المصدر نفسه،ج:137/01.

[16] – إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مطبعة السعادة ، الرياض، السعودية. ج:357/01.

[17] – الكشاف، الزمخشري،ج:94/04.

[18] – التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،ج:195/28.

[19] – الكشاف، الزمخشري، ج:79/78/01.

[20] – نظم الدرر في تناسب الآيات والسوّر، برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.ج:95/04.

[21] – إرشاد العقل السليم، أبو السعود،ج:144/05.

[22] – البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدرالدين الزّركشي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1424هـ -2004م،ج:403/03-404.

[23] – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير،دار نهضة مصر للطبع والنشر،الفجالة، القاهرة. ط:02 (د ت)،ج: 170/02.

[24] – الطراز، يحي بن حمزة العلوي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط:01، 1423هـ -2002م. ،ج: 71/02.

[25] – المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها: ابن جني، ج: 129/02.

[26] – مفتاح العلوم، السكاكي،ص:86.

[27] – المحتسب ، ابن جني،ج :240/01.

[28] – الكشاف، الزمخشري،ص:44/01.

[29] – ديوان امرئ القيس، شرح : عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط:02، 1425هـ – 2004م. ص:87.

[30] – الكشاف، الزمخشري،ص:10/01.

[31] – المصدر نفسه ،ج:10/01.

[32] – مفتاح العلوم، السكاكي، ص: 87.

[33] – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص: 180/02.

[34] – التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور،ج:140/01.

[35] – المصدر نفسه،ج:39/08.

[36] – المصدر نفسه،ج:376/25.

[37] – معاني القرآن: أبو زكريّا يحي بن زياد الفرّاء، عالم الكتب، بيروت، ط:03، 1403هـ- 1983م. ج:221/02.

[38] – الكشاف، الزمخشري، ج:80/01.

[39] – الكشاف، ج: 38/03-39.

[40] – التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،ج:97/06.

[41] – الكشاف، الزمخشري،ج:392/02.

[42] – البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 499/02.

[43] – التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،ج:293/02.

[44] – ينظر إعراب القرآن للنحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ، لبنان، ط:02، 1429هـ – 2008م.ج:117/03. ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: يا سين محمد السواس، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق. 1394هـ – 1974م.ج: 112/02.

[45] – ينظر الكتاب أبو بشر عمرو سيبويه، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط:1410،03هـ -1990م.ج:41/01-42. والنكت في تفسير كتاب سيبويه، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط:01، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، 1407هـ – 1987م.ج:197/01-199.

[46] – الكتاب، سيبويه،ج:41/01-42.

[47] – ينظر النكت في تفسير كتاب سيبويه، الأعلم الشنتمري،ج:198/01.

[48] – خصائص التراكيب، محمد أبو موسى،ص:248.

[49] – التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،ج:118/03.

[50] – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.ج:552/01.

[51] – ينظر التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،ج:335/17.

[52] – المصدر نفسه،ج:85/08.

[53] – المصدر نفسه، ج: 412/07.

[54] – المصدر نفسه،ج:452/02.

[55] – المصدر نفسه،ج:133/04.

[56] – المصدر نفسه،ج:103/24.

[57] – المصدر نفسه،ج:325/02.

[58] – الكشاف، الزمخشري، ج:122/04.

[59] – نظم الدرر في تناسب الآيات والسوّر، برهان الدين البقاعي،ج:29/07.

[60] – التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،ج:195/02.

- المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- إعراب القرآن للنحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط:02، 1429هـ - 2008م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط:01، 1424هـ- 2003م.
- إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ، تح: عبد القادر أحمد عطا، مطبعة السعادة، الرياض، السعودية.
- البلاغة والأصول، محمد مشبال، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،المغرب،2007م.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدرالدين الزّركشي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1424هـ -2004م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس1984 م.
- التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:02، 1932م.
- خصائص التراكيب ، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط:07، 1427هـ -2006م.
- دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تصحيح وتعليق: محمود رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1402هـ -1981م.
- ديوان امرئ القيس، شرح : عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط:02، 1425هـ - 2004م. ص:87.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، لبنان.
- الطراز، يحي بن حمزة العلوي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط:01، 1423هـ -2002م.
- الكتاب أبو بشر عمرو سيبويه، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط:1410،03هـ -1990م.
- الكشاف، جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة. ط:02.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات : ابن جني، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط:01، 1998م.
- مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي، تح:يا سين محمد السواس، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق 1974م.
- معاني القرآن: أبو زكريّا يحي بن زياد الفرّاء، عالم الكتب، بيروت، ط:03، 1403هـ- 1983م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسوّر، برهان الدين البقاعي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.
- النكت في تفسير كتاب سيبويه، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط:01، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، 1407هـ - 1987م.[61]